المبحث الخامس

فى حد الربا

أقول : إن حد الربا يختلف باختلاف أحوال المتعاملين به ولا يخلو حالهم من أحد ثلاثة أمور :

الأمر الأول : أن يستحلوا الربا وينكروا حُرْمته فهؤلاء كفرة سواء تعاملوا أو لم يتعاملوا به . وعلى الإمام أن يستتيبهم ثلاثة أيام فإن تابوا تركوا وإلا قُتلوا بالسيف كفرا ومالهم ومال الربا المكسوب يكون لبيت المال . قال الألوسى : « ومالهم المكسوب فى حال الردَّة فىء للمسلمين عند الإمام أبى حنيفة وكذا سائر أموالهم عند الشافعى رضى الله عنه ، وعندنا هو لورثتهم » .

ثم قال : « وإن كان مع الاعتراف فإن كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم يكد تسلم لهم رءوسهم فكيف برءوس أموالهم » (١) .

وإنما قُتلوا كفراً لأنهم أنكروا معلوماً من الدين بالضرورة ، والدليل على جواز قتلهم كفراً أن أبا بكر الصِّدِّيق حارب المرتدين ، قال القرطبى : ولو أن أهل بلد اصطلحوا على الربا استحلالاً كانوا مرتدين والحكم فيهم كالحكم فى أهل الرِدَّة (٢) .

الأمر الثانى : أن يتعاملوا بالربا مع اعتقاد حرمته وعدم اعتقاد حِلِّه وكان الإمام قادراً عليهم بأن لم تكن لهم شوكة وقوة ومنعة ، وفى حد هؤلاء قولان :

---

(١) تفسير الألوسى : ١ / ٥٠٠ (٢) القرطبى : ٣ / ٢٦٤

القول الأول : أن حدَّهم القتل ، وهو مروى عن ابن عباس . قال القرطبى: وإن لم يكن منهم استحلال جاز للإمام محاربتهم [١] .

القول الثانى : أن حدَّهم التعزير بالحبس حتى يتوبوا .

الأمر الثالث : إذا لم يستحلوه وكانت لهم شوكة وقوة فإن الإمام يحاربهم حرب البغاة ، قال الرازى : وإن وقع ممن يكون له عسكر وشوكة حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر الصِّدِّيق مانعى الزكاة[٢].

* *

● عقوبة المرابى :

المرابى له عقوبتان : دنيوية وأُخروية .

أما العقوبة الدنيوية فابتلاؤه بالمصائب وأنواع البلاء والشدائد وإصابته فى صحته وولده وزوجه وكسبه قال تعالى : ﴿ **يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ** ﴾ [٣]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « يمحق الربا » أى يذهبه ؛ إما أن يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه من بركته فلا ينتفع به ، بل يعدمه فى الدنيا ويعاقبه عليه يوم القيامة .

ثم استدل على ذلك بالحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قِلٍّ » [٤] .

هذا ولا يزال البلاء يحيط بالمرابى من كل جانب ؛ لأنه خالف أمر ربه تعالى وتعدَّى حدوده قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [٥] .

---

(١) القرطبى : ٣ / ٢٦٤ (٢) الرازى : ٣ / ٥٤١

(٣) البقرة : ٢٧٦ (٤) تفسير ابن كثير : ١ / ٢٢٧

(٥) الشورى : ٣٠

هذا وإن الواقع لأكبر شاهد ، ونزول الكوارث المتوالية والمصائب المتلاحقة لأكبر دليل وأصدق برهان على صدق قوله تعالى فى حق المتعاملين بالربا وإذنهم بحرب من الله ورسوله وصدق الله القائل : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ (١) .

والحق الذى يجب أن يُعرف والواقع الذى ينبغى ألا يُنكر هو أن سبب الزلازل التى وقعت بمصر والأزمات الاقتصادية التى حلّت بها كان سببه المباشر هو التعامل بالربا وإقبال الناس على المعاملات الربوية ، وكان سبب هذا الإقبال من الناس على التعامل بالربا هو فتوى جريئة بحل فوائد البنوك الربوية التى لم تستند إلى دليل صحيح .

إنَّ هذا البلاء الذى حلّ بمصر من جرّاء الزلازل وغلق أبواب الرزق ما هو إلا نذير من الله تعالى وتنبيه لهم كى يتوبوا عن التعامل بالربا ويستغفروا ربهم على ما فرّطوا فى حقه والتعدى على حدوده ، فإن لم يتوبوا عن التعامل بالربا ويرجعوا لخالقهم بالتوبة والاستغفار فليرتقبوا إذاً بلاءً أشد ، وعذاباً أمرَّ ، وحرباً من الله ورسوله وذلك بضياع أموالهم وفشل أبنائهم ، وسقم أجسامهم ، مصداق هذا قوله تعالى : ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾ (٢) .

بل إنَّ هناك عقوبة كبرى ومصيبة عظمى وهى أن المتعاملين بالربا يُخشى عليهم الموت على سوء الخاتمة ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية . يقول العلامة الباجورى رحمه الله : « إن أكبر الكبائر على الإطلاق الشرك بالله ، ثم قتل النفس التى حرَّم الله إلا بالحق ، ثم الزنا ، ثم الربا » .

ثم قال : « ولم يحل - يعنى الربا - فى شريعة من الشرائع القديمة ، ولم يأذن الله تعالى فى كتابه بالحرب سوى أكل الربا » .

---

(١) البقرة : ٢٧٨ ٢٧٩ (٢) البقرة : ٢٧٩

ثم قال : ولذا قيل إنه يدل على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه » [1] .

وكفى هذا واعظاً لمن اتعظ وزاجراً لمن انزجر وناهياً لمن خاف من الله تعالى واعتبر ، **هذه هى عقوبة المتعاملين بالربا فى الدنيا ، أما فى الآخرة فإنهم يقومون من قبورهم كما يقوم المصروع يتخبطه الشيطان من المس** قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾ [2] .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : آكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يُخنق .

وورد أن آكل الربا يسبح فى نهر من الدم يوم القيامة ويُلقم الحجارة كما ورد ذلك فى حديث سمرة بن جندب الطويل » [3] .

* * *

(١) روى مسلم فى صحيحه ، عن جابر رضى الله عنه أنه قال : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : هم سواء » .

(٢) البقرة : ٢٧٥ (٣) تفسير ابن كثير ١ / ٢٢٧